(٢٣) خطبة له ﷺ
فى الترغيب فى البداءة بالخير
ليستنّ به، والترهيب من عكسه

عن جرير رضي الله عنه ، قال : كنا فى صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم غزاة مجتابى النمار[١] والعباء، متقلِّدى السيوف، عامتُهم من مُضَر ، بل كلُّهم من مُضَر[٢] ، فتمعَّر[٣] وجه رسول الله ﷺ لما رأى ما بهم من الفاقة[٤] ، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذَّن وأقام فصلَّى، ثم خطب فقال :

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ...** ﴾ - إلى آخر الآية : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾[٥] والآية التى فى الحشر : ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** ﴾[٦] . **تصدَّق رجلٌ من دينارِه ، مِنْ ثوبِهِ ، مِنْ صَاعِ بُرِّه ، مِنْ صَاعِ تَمْرِه ، حتى قال : ولو بشِقِّ تَمْرة** . قال :

---

(١) مجتابى النمار ، أى : لابسى النمار - جمع نمرة - وهى كساء غليظ من صوف، فيه خيوط بيض وسود .

(٢) أى : من قبيلة مضر .

(٣) أى : تغير وعبس .

(٤) أى : الفقر .

(٥) سورة النساء : ١ .

(٦) سورة الحشر : ١٨ .

فجاء رجل من الأنصار بصرَّة كادت كفه تعجز عنها، بل عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب؛ حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل[1] كأنه مذهَّبة[2]، فقال رسول الله ﷺ:

« مَنْ سَنَّ فى الإسلام سُنَّةً حَسنةً[3] فله أجرُها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها مِنْ بَعْدِه منْ غيرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أجورِهم شىءٌ، ومَنْ سَنَّ فى الإسلامِ سُنَّة سَيِّئةً كانَ عليهِ وِزْرُهَا ووِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها مِنْ غيرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أوزارهم شىءٌ ».

(رواه مسلم، والنسائى، وابن ماجه، والترمذى. باختصار القصة)

فى هذه الخطبة الجامعة - كما قرأنا - يعلمنا الرسول ﷺ بصورة عملية، كيف نكون من الدعاة إلى الخير لا إلى الشر.

وذلك حتى نقتدى به - صلوات الله وسلامه عليه - فى مثل هذه المسألة التى حدث فيها هذا الموقف العظيم الذى تسابق الصحابة فيه بهذه الصورة العظيمة التى جعلت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة.. وكان هذا معناه أن النبى ﷺ قد فرح بهذا فرحاً عظيماً، ثم كان قوله بعد ذلك:

---

(١) أى: يستنير ويشرق وتنبسط أساريره.

(٢) مذهبة - بضم الميم -: أى: مموهة بالذهب.

(٣) يعنى: من وضع فى الإسلام طريقة من طرق الخير يقتدى به فيها، وكذلك العكس بالنسبة للسنة السيئة.

« مَنْ سَنَّ فى الإسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فله أجرُها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها مِنْ غيرِ أنْ ينقصَ مِنْ أجورِهم شيءٌ .. » الحديث .

قال الشاطبى فى «الاعتصام»: مَنْ سَنَّ بمعنى مَنْ أحيا ، يفسره حديث :

«مَنْ أحيا سُنَّةً قد أُميتتْ بَعْدِى فإنَّه له مِنَ الأجْرِ مثلُ مَنْ عَمِلَ بِها لا يُنقص ذلكَ من أُجورِهم شَيئاً » .

ويصح أن تكون السنة عبارة عن اختراع طريق يسهِّل الوصول إلى الخير ، وليس ذلك اختراعاً لعبادة بل هو اختراع لطريق من طرق بذل المال . والممنوع هو الاختراع فى عبادة حدَّدها الدين أو ما يشابهها .

وفى الحديث الشريف : عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ، قال :

«مَنْ دَعَا إلى هُدًى كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أجورِ مَنْ تبعه لا يُنقصُ ذلكَ مِنْ أُجورهم شَيئاً، ومَنْ دَعَا إلى ضَلالةٍ كانَ لَهُ مِنَ الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَنِ اتَّبعه لا يُنقصُ ذلكَ مِنْ آثامِهم شَيئاً » . .

(رواه مسلم)

وفى الحديث الشريف ، قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ دَلَّ علَى خَيرٍ فَلَهُ مِثلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ ـ أو قال ـ عَامِلِهِ » .

(رواه مسلم)

* * *